www.assafir.com ©2012 جريدة السفير

ثقافة

تاريخ العدد 28/11/2012 **العدد** 12343

تتكئ على «بيكون» وتجرّب منافسته في تزخيم الألم

معرض شذا شرف الدين.. جماليات الرعب

احمد بزون

هذا معرض يخيفنا، يهزنا من اللحظة الأولى، يأخذنا إلى منابت الرعب التي تتناوب علينا من كل صوب، ولمّا تبارح واقعنا بعد. فهل تكفينا 24 لوحة، أو لنَقُلْ 24 مرآة، لنكتشف مدى الثقل الذي نحمله في وجوهنا، على جلدنا وتحته!

لا نتأخر لحظة عن الشعور، ونحن نجول على لوحات شذا شرف الدين (في غاليري «أجيال» حتى 15 كانون الأول المقبل)، بأننا ننتقل من كابوس إلى آخر، فعدوى الحوار الذي تقيمه الفنانة مع نفسها، أو مع وجهها، سرعان ما ينتقل إلينا، فكلما تطلعنا إلى وجه في اللوحة، وانتبهنا إلى تحولات الرعب والألم تحسسنا وجوهنا، مع ارتفاع في الحرارة. لكن ما يخفف دائماً وطء الكوابيس علينا تلك الجمالية التي تقدم بها كل هذا الوجع، أو الفنية التي تغلف بها كل تلك الكوابيس.

تذكرنا وجوه شذا، لا شك، بوجوه الفنان الإنكليزي فرانسيس بيكون، التي كان يوازن ويوازي فيها بين الألم والجمال، على أن شذا نفسها تذكّر، في تقديمها للمعرض، أنها تعيد، بوجوهها، اكتشاف بيكون، لكنها تستخدم أسلوباً مختلفاً، بعيداً عن تقليده، لكن قريباً من مستوى الاحتجاج الصاخب الذي كان يسعى له.

وإذا تذكرنا أن بيكون الذي اعتبر بيكاسو أباً له في الفن، وضع نفسه في ما بعد في منافسة معه، ننتبه إلى أن شذا التي تتكئ على تجربة بيكون في استصراخ الوجوه، تنافسه أيضاً في تزخيم الألم. مع الأخذ بعين الاعتبار أن شذا لا تدخل في المنافسة عن طريق حرفة التلوين، أو حتى حرفة التصوير الفوتوغرافي، إنما عن طريق أسلوب جديد في تجسيد الفكرة نفسها، التي يشترك فيها العديد من الفنانين، الذين جسدوا احتجاجاتهم بتصوير الألم، لا سيما فرانسيسكو غويا.

الفكرة هي الأساس في معرض شذا، فكرة جعل الصورة الفوتوغرافية تنافس تشوّهات وجوه بيكون الذي كان من أبرز فناني الحداثة في عصره. ولهذا استخدمت وجهها نفسه، ربما لتكون أكثر تحكماً بالحركة، وأكثر تماساً مع مشاعرها، وهي تفكر في الصرخة التي تطلقها كل مرة، أو أكثر تحكماً بتحولات الصراخ، بين وجع وآخر تراه كل يوم في واقعها المحيط وعلى شاشات التلفزة، والذي قد يكون أحياناً أكثر فظاعة.

بعد الابتكار الموفق للفكرة يأتي أسلوب تنفيذها، وقد عملت في الأساس على استخدام «مايكأب» سلبي على وجهها لتزيد من التعبيرية التي تريدها، ثم استخدمت مسطح ألومينيوم تنعكس عليه صورة وجهها، التي تتبدل، أو تتشوه مع تحريك المسطح، لتختار بالتالي اللقطة التي تريد. وتضيف تقنياً أيضاً حركة الإضاءة التي تتحكم بها لتضفي مساحات تشتبك فيها العتمة والنور، ليتبادلا احتلال مساحات في الوجه، في حرب تتساوق مع الصراخ الذي تريده الفنانة أن يطفو على الوجه.

نحن، إذاً، أمام لوحات فوتوغرافية، مشغولة بأسلوب جديد، لا يتدخل «الفوتوشوب» في طبيعتها إلا في مساحات ضيقة. وإذا تذكرنا الكومبيوتر، فإن اختيار اللقطة عند شذا هو اختيار احتمالٍ من الاحتمالات غير المحدودة، يمكن رصدها على مسطح الألومينيوم، أشبه باحتمالات برامج الكومبيوتر، أو التصوير الرقمي المفتوح على لا نهائية الاحتمالات.

واضح أن شذا انطلقت من جماليات الرعب التي جسدها بيكون في شخوصه، وجسدت ذلك في عدد من وجوهها، لتؤسس مدخلاً إلى عالمها الخاص، ثم بعد ذلك تتفرّد وتنأى عن أي ذاكرة فنية، سوى ما تراه من «فنون» التعذيب اليومي، في بلد مسكون بالأحداث المؤلمة، ومحيط مضروب بالمجازر البشعة، التي تكمن في مخيلاتنا وتحت جلودنا.

لقد تركت آلام الحروب وشوماً في ذاكراتنا، وعلى أجسادنا، إلا أن شذا جعلت وجهها، الذي أهدته إلى لوحاتها، صليباً يحمل كل تلك التشوهات، التي لا بد من أن تتحول إلى ذاكرة نستعيدها كلما أردنا أن نلعن أنفسنا، قبل أن نلعن الآخرين، بل تتحول إلى «ذاكرة موشومة».. لكن بتشـــكيل إبداعي أكثر رسوخاً.

أحمد بزون